الفصل السادس

كمان جزء التروبانه

ب. مالينوسكي

obeikandl.com

لمحـــة عن حياته ومؤلفاته :

ولد برونسلاو كاسبار مالينوسكى فى سنة ١٨٨٤ بمدينة « كراكاو » فى بولنده[١] • وكان أبوه من طبقة النبلاء ويعمل أستاذا بالجامعـــة • وفى سنة ١٩٠٨ حصـــل مالينوســـكى على درجـــة الدكتـــوراه فى الطبيعـــة والرياضيات[٢] •

غير أنه ما لبث أن قرر أن يغير مجرى حياته ، فترك دراسة الطبيعة والرياضيات واتجه لدراسة الانثروبولوجيا • وهو نفســـه يذكـــر لنا أن قراءته لكتاب « سير جيمس فريزر » « الغصن الذهبى The Golden Bough» كانت من أهم العـــوامل التى أثرت فى حيـــاته وجعلته يتجـــه لدراســـة الانثروبولوجيا •

ورغما من الاعجاب الشديد الذى كان يبديه مالينوسكى نحو كتابات فريزر ، الا أنه لم يتجـــه لدراســـة الانثروبولوجيـــا « من المـــكتبة From the library» » كما كان يفعل فريزر •

وفى ســـنة ١٩١٠ توجه مالينوسكى الى انجلترا للدراسة فى « مدرسة لندن للاقتصاد » The London School of Economics • وقد قضى هناك أربع سنوات دائبا على البحث والدراسة فى ذلك الميدان الجديد • وفى جامعة لندن تلقى مالينوسكى تدريبه فى الانثروبولوجيا على يد الاســـتاذ سلجمان Seligman الذى كان يعتبر أعظم باحث حقلى Field worker فى ذلك الحين • كما تتلمذ مالينوسكى كذلك فى لندن على يد وســـتر مارك Westermarck ، ريفرز Rivers ، هوبهوس Hobhouse [٣] •

---

(١) A. Kardiner and E. Preble, **They Studied Man**, p. 141

(٢) Ibid,

(٣) Ibid, p. 142.

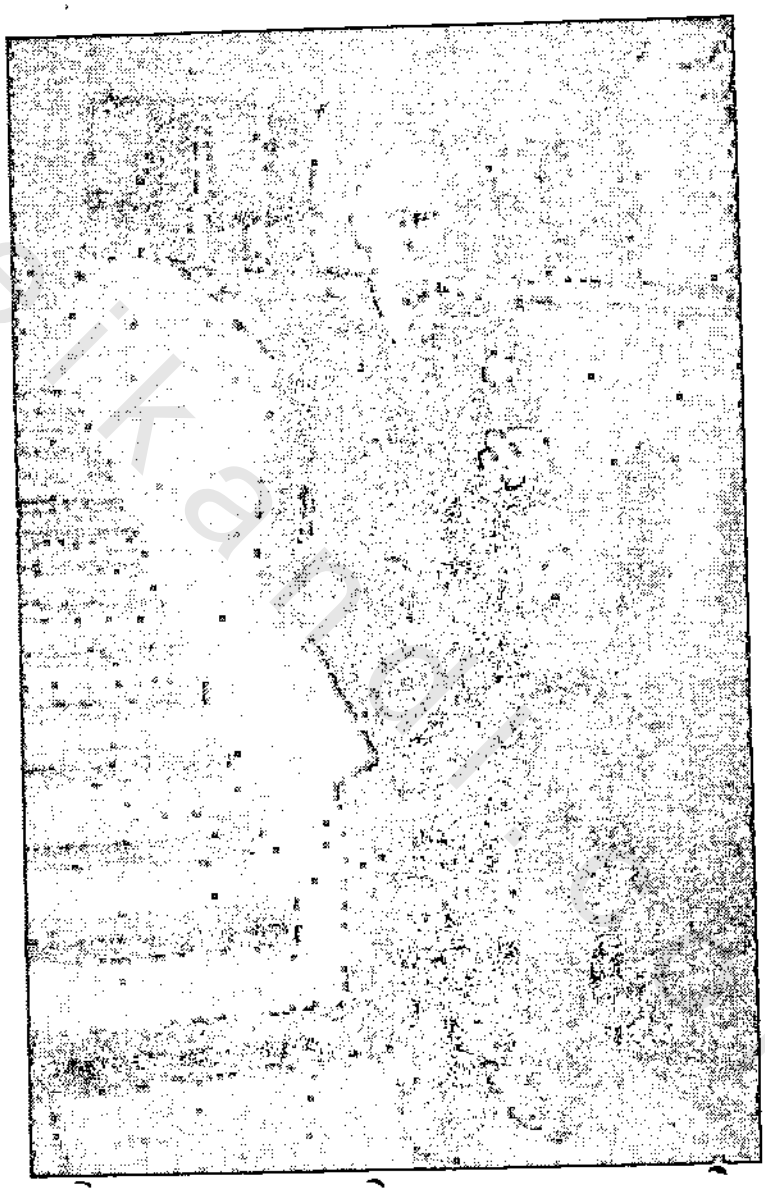

ب. مالینوسکی

obeikandl.com

وفى سنة ١٩١٤ سافر مالينوسكى الى أستراليا • الا أن الحرب العالمية الاولى ما لبثت أن نشبت ، وكان لذلك أثره الكبير فى تقرير مجرى حياته العلمية • فقد قامت الحكومة الاسترالية باعتقاله حيث أنه كان نمساوى الجنسية • لكن مالينوسكى ، بدلا من أن يستكين للراحة ، تقدم للسلطات هناك يلتمس منها أن تسمح له بالقيام بأبحاثه الحقلية • وبالفعل تمت له الموافقة على طلبه ، بل ان الحكومة الاسترالية ساهمت أيضا فى التمويل الخاص بالبحث • وقد بقى مالينوسكى فى استراليا مدة ستة سنوات (١٩١٤ — ١٩٢٠) وقام خلالها بدراسته المشهورة عن سكان جزر التروبرياند[٤] •

وفى سنة ١٩١٩ تزوج مالينوسكى فى مدينة ملبورن من « السى روسالين ماسون «Elsie Rosaline Masson » وكان أبوها أستاذا للكيمياء بالجامعة فى أستراليا • وبعد زواجهما بفترة قصيرة ، غادرا أستراليا وأقاما فى « كنارى أيلاندس Canary Islands » مدة سنة طلبا للراحة • ذلك أن مالينوسكى قد مرض مرضا شديدا فى أستراليا عندما بلغه خبر وفاة والدته التى كان يحبها حبا شديدا[٥] •

وفى سنة ١٩٢٤ عين مالينوسكى فى جامعة لندن ليقوم بتدريس الانثروبولوجيا الاجتماعية • وبعد ذلك بعدة سنوات (سنة ١٩٢٧) شغل مالينوسكى أول كرسى ينشأ للانثروبولوجيا فى جامعة لندن[٦] •

---

(٤) B. Malinowski, Argonauts Of The Western Pacific (New York, E. p. Dutton & Co-Inc., 1961), p. XiX,.

(٥) Kardiner & Preble, p. 142.

(٦) R. Firth (Ed.), Man And Culture, (Routledge & Kegan Paul, London, 1968), p. 4.

وقد قام مالينوسكى بزيارة الولايات المتحدة عدة مرات (سنة ١٩٢٦، ١٩٢٣ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٨) وقام بالتدريس فى عدة جامعات بها • وقد ذاع صيته فى الدوائر العلمية هناك •

وفى مايو سنة ١٩٣٤ توجه مالينوسكى الى جنوب افريقية لحضور أحد المؤتمرات العلمية هناك • ثم قام بعد ذلك بجولة فى جنوب وشرق افريقية استغرقت خمسة شهور درس خلالها قبائل السوازى ، البمبا ، الشاجا ، الماساى ، الماراجولى[٧] •

وجدير بالذكر أن مالينوسكى قد حصل على الجنسية البريطانية قبل نشوب الحرب العالمية الثانية[٨] •

وفى أثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة ، نشبت الحرب العالمية الثانية • فقرر مالينوسكى تأجيل العودة الى انجلترا والبقاء للتدريس فى جامعة « يال yale »[٩] • وفى خلال عامى ١٩٤٠ و ١٩٤١ قام مالينوسكى باجراء دراسة حقلية عن « الزابوتيك zapotec » فى المكسيك • وقد بلغت جملة الفترات التى قضاها هناك لاجراء تلك الدراسة الحقلية ، ثمانية شهور تقريبا •

وفى مايو سنة ١٩٤٢ توفى مالينوسكى فجأة فى نيوهافن بالولايات المتحدة بسبب نوبة قلبية[١٠] •

---

(٧) Ibid.
(٨) Ibid, p. 13.
(٩) Kardiner & Preble, p. 143,
(١٠) Ibid.

هذا ويهمنا أن نشير هنا الى أن كتب مالينوسكى كانت ممنوعة من التداول فى ألمانيا ، نظرا للعداء الشديد الذى كان يبديه نحو النازية •

كما يهمنا أن نشير هنا كذلك الى أن مالينوسكى كان على صلة ، لمدة سنوات ، بالمعهد الدولى للغات والثقافات الافريقية

«the International Institute of African Languages and Cultures

وجدير بالذكر أن ذلك المعهد قد بذل جهودا كبيرة للمساعدة فى اجراء البحوث عن مشكلات الاستعمار والتغير الثقافى فى افريقية(١١) •

ومن تلاميذه نذكر : ريموند فيرث ، لوسى مير ، س• ف نادل ، أ• ريتشاردز ، برستيانى ، شابيرا • يقول ايفانز بريتشارد :

« لقد بدأ مالينوسكى يحاضر فى جامعة لندن سنة ١٩٢٤ • وكنت أنا والاستاذ فيرث — الذى يشغل الآن كرسى الاستاذية الذى كان يشغله مالينوسكى فى لندن — أول تلميذين يدرسان الانثروبولوجيا على يديه فى ذلك العام • وفيما بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٣٠ تتلمذ على يديه معظم الانثروبولوجيين الاجتماعيين الآخرين الذين يشغلون الآن كراسى الاستاذية فى بريطانيا العظمى والدومنيون • ونستطيع أن نقول بحق أن الدراسات الحقلية Field Studies الشاملة فى ميدان الانثروبولوجيا الحديثة تدين — بطريق مباشر أو غير مباشر — الى تعليمه ، فهو كان يؤكد ويصر على أننا لا نستطيع أن نفهم الحياة الاجتماعية لاى شعب بدائى الا اذا قمنا بدراستها دراسة مركزة ، كما أنه كان يؤكد أيضا أن القيام بدراسة حقلية مركزة واحدة على الاقل فى مجتمع بدائى يعتبر جزءا ضروريا من تدريب الانثروبولوجى الاجتماعى »(١٢) •

---

(١١) B. Malinowski, The Dynamics of Culture Change, (New Haven, Yale University Press, (1946). p. p. Vi. Vii.

(١٢) E, E. Evans--Pritchard, Social Anthropology and Other Essays, (The Free Press, New york, 1966), p.p. 74—75.

أولا — لمحة عن جـزر التروبرياند

تقع هذه المجموعة من الجزر شرق غينيا الجديدة(١٣) • وهى تتكون من عدد من الجزر المرجانية تحيط بمستنقع كبير • وتربة الارض خصـبة كما أن المستنقع غنى بالاسماك • ومن ثم فان الاهالى يشتغلون بالزراعة وصيد الاسماك كما أنهم يشتغلون بالتجارة كذلك •

ويعيش الاهالى فى مجموعة من القرى • وتتكون كل قرية من عدد من الاكواخ يستخدم بعضها لسكن الاهالى ، بينما يستخدم البعض الآخـر كمخازن لليام yam • وفيما يلى وصف موجز لاحدى القرى(١٤) • يوجد فى وسط القرية ساحة كبيرة ومستديرة تحيط بها حلقة ring من الاكواخ يستخدمها الاهالى لخزن اليام • كما يوجد أيضا خارج هـذه الدائرة من مخازن اليام دائرة أخرى من الاكواخ يسكن فيها أهالى القرية • والمسافة التى بين الدائرتين تكون شارعا دائريا(١٥) • ويستخدم الاهالى السـاحة الموجودة فى وسط القرية للاحتفالات العامة ، أما الشارع الدائرى ، فان الاهالى يقضون فيه أغلب أوقاتهم • فالنساء تعد الطعام هناك • وتتناول الاسر طعامها فيه أيضا •• كما يشاهد الاهالى وهم جالسون يتجـاذبون أطراف الحديث مع جيرانهم •

وتسكن فى كل كوخ أسرة تتكون من الزوج والزوجة والاطفال الصغار، أما البالغون فانهم يقيمون عادة فى دور العزاب(١٦) • وبالنسبة لحكام القرى والافراد من ذوى المكانة العالية ، فانهم يبنون لانفسهم أكواخا خاصة بهم علاوة على الاكواخ الخاصة بزوجاتهم •

---

(١٣) B. Malinowski, Argonauts of The Western Pacific, p. xvi.

(١٤) القرية التى نصفها هنا هى قرية « أوماراكانا Omarakana»

(١٥) B. Malinowski, The Sexual Life of Savages (London, 1939), p., 8.

(١٦) Ibid, p. 61.

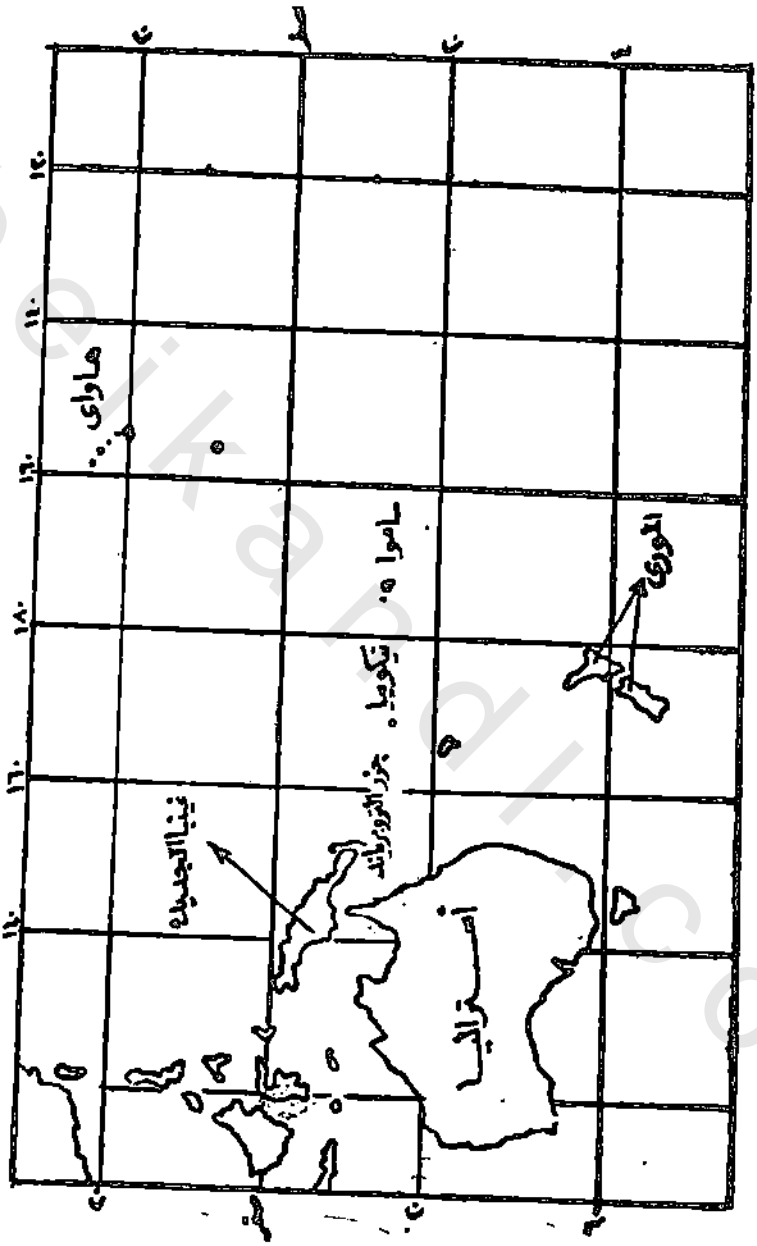

جزر التروبرياند

obeikandl.com

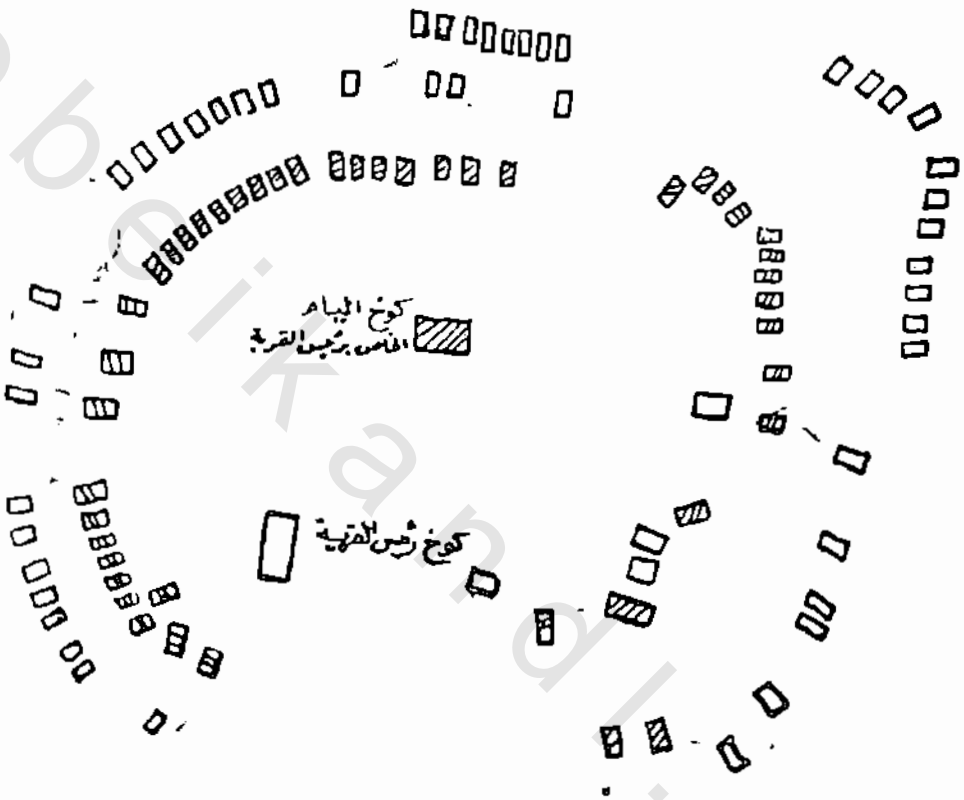

قـــرية أوماراكانا

obeikandl.com

obeikandl.com

وأرضية المسكن من الطين ، أما الاثاث فانه غايةفى البساطة • فهـو يتكون من عدد من الاسرة مصنوعة من الخشب ، وعدد من الارفف لتضع عليها الاسرة شباك الصيد وأوانى طهى الطعام وغـير ذلك من الادوات المنزلية (١٧) • وفى العادة لا يستخدم الاهالى مساكنهم الا للمبيت بها ليلا أو للاحتماء بداخلها فى ساعات سقوط الامطار •

ومن الناحية الفيزيقية يتسم سكان تلك الجزر بالبشرة السمراء(١٨) والشعر المجعد • وأما بالنسبة للملابس ، فهم شبه عراه •

وبالنسبة لنظام الاسرة، فان النظام السـائد هنـاك هـو النظام الامومى(١٩) • فالطفل ينتمى الى عشيرة أمه ، وأما من حيث الميراث فانه يرث خاله • والواقع أن علاقة الابن بأبيـه tama تلفت النظر حقـا • فالاهالى لا يعترفون بوجود أية علاقة فسيولوجية بين الاب وابنـه ومن ثم فانهم يرون أنه لا توجد عـلاقة قـرابة بينهما • وبالرغم من ذلك فان الاب يعيش مع أبنائه فى معيشة واحدة ويرعاهم فى حالات المرض كما أنه ينقذهم فى ساعات الخطر •

والعلاقات الجنسية تبدأ بين الجنسين فى سن مبكرة ، ومن ثم فانه لا توجد عذارى virgins بالمجتمع(٢٠) •

ويلعب السحر دورا هاما فى حياة التروبرياندبين • فهـو ضرورى للزراعة ولحماية الاطفال وكذلك فى حالات الحب أيضا • وعلاوة على ما تقدم

---

(١٧) Ibid, p. 18.
(١٨) Argonauts p. 18
(١٩) Ibid, p. 71.
(٢٠) Ibid, p. 53.

فان السحر له أهميته فى صناعة السفن ، فهو لازم ليجعل السفينة سريعة وفى أمان • كذلك يعتقد الاهالى أن المرض والصحة والوفاة تنتج عن السحر[٢١] • ويذكر لنا مالينوسكى أن الرؤساء يستفيدون من قوة السحر للتغلب على أعدائهم • فعندما يشك حاكم القرية فى وجود مؤامرات ضده ، فانه يسلط عليهم السحرة للانتقام منهم •

(٢١) Ibid, p. 77.

obeikandl.com

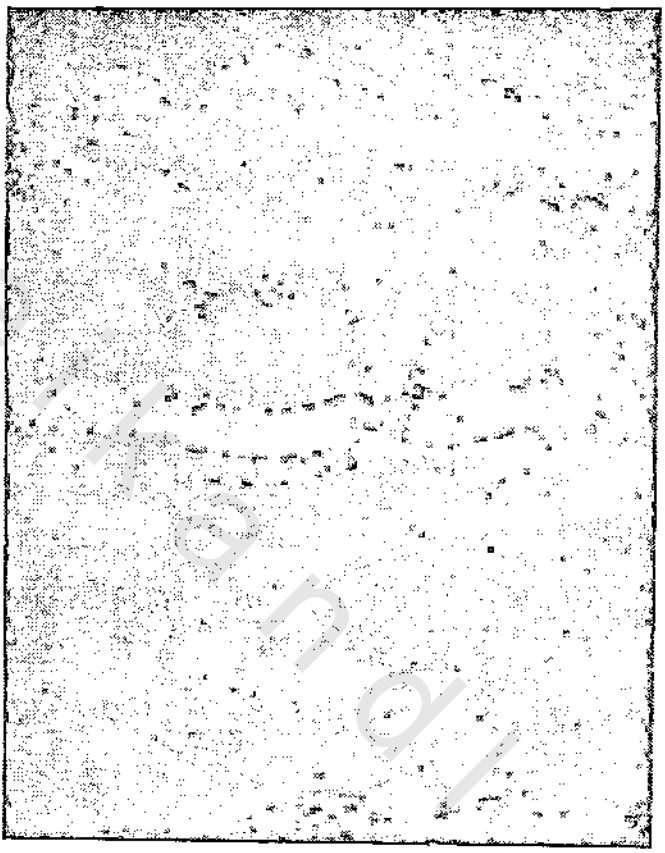

مجمـــوعة من النساء فى أبهى زينتهن

obeikandl.com

obeikandl.com

ثانيا ــ ملاحظات عن كيفية اجــراء البحث

١ ــ تمــويل البحث :

تلقى مالينوسكى منحا مالية من مصادر مختلفة هى : جامعة لندن ، حكومة استراليا ، الاستاذ سلجمان . وهو يذكر لنا أن سلجمان قد قدم له منحة مالية قدرها مائة جنيه ، كما أنه قد أمده بآلة تصوير وفونوغراف وأدوات لقياس الجسم البشرى(٢٢) .

٢ ــ قراءة ما كتب عن المنطقة :

قام مالينوسكى بالاطلاع على الابحاث التى أجريت من قبل عن جزر التروبرياند . وهو يذكر لنا أنه قد استفاد بصفة خاصة من دراسات هادون وسلجمان عن المنطقة(٢٣) .

٣ ــ التعرف على أحدث النظريات العلمية :

وعلاوة على الاطلاع على الدراسات السابقة عن المنطقة فانه ينبغى على الباحث الحقلى أن يكون على معرفة تامة بأحدث النظريات فى ميدان الانثروبولوجيا الاجتماعيــة . فالباحث الحقلى ، كما يرى مالينوســكى ، يعتمد على النظريات العلمية . وهو يشير الى أن نظريات فريزر ودور كايم وغيرهما من العلماء كانت دائما مصدر وحى والهــام للباحثين الحقليين ، كما أنها قد قادتهم الى الكثير من النتائج الجديدة .

٤ ــ رفض استخدام التاريخ الظنى :

دعا مالينوسكى الباحثين الى نبذ استخدام التاريخ الظنى . وهــو فى هذه الناحية يتفق مع رادكليف براون .

---

(٢٢) B. Malinowski, Argonauts of The Western Pacific, p. XiX.

(٢٣) Ibid, p.p. 28—29.

٥ ــ دراسة الانثروبولوجيا الفيزيقية :

قبل سفر مالينوسكى الى منطقة البحث ، قام سلجمان بتمويله بآلة تصوير وأدوات خاصة بقياس الجسم البشرى . وقد عرض لنا مالينوسكى فى تقاريره عن المنطقة عددا من الصور الفوتوغرافية للاهالى . الا أننا نلاحظ أنه لم يقم بتضمينها قياسا للجسم البشرى . وقد قدم لنا اشارات موجزة عن الصفات الفيزيقية للاهالى ثم أحال القارىء الذى يرغب فى المزيد من المعلومات عن هذه الناحية الى دراسات سلجمان عن المنطقة(٢٤) .

٦ ــ مدة الدراسة الحقلية :

قام مالينوسكى بثلاث بعثات الى غينيا الجديدة New Guinea أما البعثة الاولى ، فقد قام بها فى الفترة من سبتمبر سنة ١٩١٤ حتى مارس سنة ١٩١٥ ، بناء على توجيه من أستاذه سلجمان . وقد قضى تلك الفترة أساسا فى جزيرة تولون Toulon Island . كما أنه قد قام خلال تلك البعثة أيضا بزيارة خاطفة الى جزيرة وودلارك Woodlark Island .

وفى يونيو سنة ١٩١٥ غادر مالينوسكى استراليا متجها الى جزر التروبرياند ، وقد أقام بها حتى مايو سنة ١٩١٦ . ثم عاد مالينوسكى الى تلك الجزر مرة ثانية فى أكتوبر سنة ١٩١٧ وظل بها حتى أكتوبر سنة ١٩١٨ . **وبذلك يكون مالينوسكى قد قام ببعثتين الى جزر التروبرياند . وقد بلغت الجملة الكلية لفترة البحث الحقلى هناك عامين اثنين فقط(٢٥) .**

وجدير بالذكر أن مالينوسكى كان يقضى الفترة بين كل بعثة وأخرى فى دراسة المادة التى جمعها من الميدان وكذلك فى الاطلاع على بعض الدراسات فى مجال تخصصه(٢٦) .

---

(٢٤) Ibid, p. 28.

(٢٥) R. Firth, Man And Culture, p. 77.

(٢٦) Argonauts, p. xix.

مالينوسكى يتحدث مع أحد المخبرين

obeikandl.com

obeikandl.com

والذى لا شك فيه أن هذه البعثات الثلاث الى غينيا الجديدة كان لها أثرها الكبير فى حياة مالينوسكى(٢٧) .

٧ ــ الاقامة فى قرى الاهالى :

يرى مالينوسكى أنه يجب على الباحث أن يقيم فى قرى الاهالى وأن يبتعد قدر المستطاع عن الاختلاط بالمستوطنين من البيض وهو يرى أن ذلك له فوائده العديدة . فكثير من آراء البيض كالمبشرين ورجال الادارة والتجار تتسم بالتحيز . ومن ثم فهى لا تفيد الباحث فى كثير من الاحيان . وعلاوة على ما تقدم فان شعور الباحث بالعزلة سوف يدفعه الى الاندماج مع الاهالى وتكوين صداقات معهم . وهذا بالتالى سوف يجعله على معرفة وثيقة بعاداتهم ومعتقداتهم .

٨ ــ اجراء الدراسة الحقلية بمفرده :

لم يصطحب مالينوسكى فريقا من الباحثين عند ذهابه لاجراء البحث الحقلى فى جزر التروبرياند (كما هو الحال بالنسبة لبعثة جامعة كمبردج الى مضايق توريس) ، كما أنه لم يصطحب معه زوجة (كما فعل سلجمان عند دراسته لقبائل جنوب السودان) ، والتما نجد أنه قد ذهب بمفرده الى هناك (تماما كما فعل رادكليف براون فى جزر الاندمان) . يقول مالينوسكى(٢٨) :

«I did my work entirely alone»

٩ ــ وسيلة التخاطب مع الاهالى :

فى بداية الامر استخدم مالينوسكى فى تخاطبه مع الاهالى Pidgin — English . الا أنه سرعان ما تبين أن ذلك لن يمكنه من التغلغل فى الحياة الاجتماعية وفهمها فهما سليما . ومن ثم فقد اتجه لدراسة

---

(٢٧) Robert Lowie, The History of Ethnological Theory (George G, Harrap & Co. Ltd, London, 1937), p. 231.

(٢٨) Argonauts p. xvi.

لغة الاهالى ، واستخدمها فى التخاطب معهم[٢٩] . هذا ويهمنا أن نشير هنا الى أن مالينوسكى قد ضمن دراسته نصوصا عديدة بلغة الاهالى أنفسهم ، كما قدم الترجمة الانجليزية بجانبها .

وجدير بالذكر أن مالينوسكى يتفق مع فرانز بواس فى هذه الناحية ، فهو (أى بواس) يصر على ضرورة اجادة الباحث الحقلى لغة المجتمع الذى يقوم بدراسته[٣٠] .

١٠ — الملاحظة وأقوال المخبرين :

أشرنا من قبل الى أن مالينوسكى قد أقام داخل قرى الاهالى أثناء فترة البحث الحقلى . وقد اعتمد أساسا فى جمع المعلومات على الملاحظة وتوجيه الاسئلة الى المخبرين . **وهو يحذر الباحثين الحقليين من الاعتماد فقط على أقوال المخبرين من الاهالى ، بل يجب عليهم أن يتبعوا ذلك بالملاحظة حتى يمكن التأكد من صحة أقوال المخبرين وكذلك من مدى الفارق بين أقوالهم وبين السلوك الفعلى للافراد ، أن أقوال المخبرين قد تصف لنا النمط المثالى للسلوك ، لكنها قد لا تبين لنا حقيقة السلوك الفعلى للافراد . ومن ثم فهو ينصح بان يجمع الباحث دائما بين الملاحظة وتوجيه الاسئلة .**

وعلاوة على ما تقدم ، فهو ينصح الباحثين الحقليين أن يقوموا أحيانا بوضع آلة التصوير والكراسة والقلم جانبا ، ثم يشتركون مع الاهالى فى أنشطتهم (كالالعاب والزيارات مثلا) ... وهو يذكر لنا أنه كان يقوم بذلك فى كثير من الاحيان[٣١] .

---

(٢٩) Ibid, p. xvi.

(٣٠) R. Lowie, The History Of Ethnological Theory, p. 132.

(٣١) Argonauts. p. 21.

هذا ويهمنا أن نشير الى أن مالينوسكى قد استحال عليه فى بعض الاحيان أن يعتمد على الملاحظة كأداة لجمع البيانات ، واضطر الى الاعتماد على أقوال المخبرين فقط . ومن الامثلة على ذلك دراسته لحالات على أقوال المخبرين فقط . ومن الامثلة على ذلك دراسته لحالات الانتحار[٣٢] التى حدثت فى الماضى وكذلك دراسته لبعض النواحى المتعلقة بالجنس[٣٣] .

ويرى مالينوسكى أنه يجب على الباحث أن يذكر لنا صراحة أى البيانات حصل عليها عن طريق الملاحظة وأيها قد حصل عليه عن طريق المخبرين[٣٤] .

١١ — طريقة شجرة النسب :

كما استخدم مالينوسكى جداول شجرة النسب عند دراسة مصطلحات القرابة فى الاسرة ومدى انتشار بعض الظواهر بها . فمثلا نجده يقدم لنا جدولا جنيالوجيا لاحدى الاسر يوضح فيه مدى انتشار ظاهرة زواج الطفل من ابنة أخت أبيه[٣٥] .

١٢ — وسائل الايضاح :

كما تدلنا الدراسة كذلك على أن مالينوسكى قد ضمن أبحاثه عن سكان جزر التروبرياند مجموعة من الصور الفوتوغرافية والاشكال والخرائط . ولا شك أن ذلك كان له أثره الكبير فى توضيحها وتدعيمها .

١٣ — نشر نتائج الدراسة :

لم يقدم لنا مالينوسكى ، كما فعل بعض العلماء ، نتائج دراسته عن

---

(٣٢) Crime and Custom in Savage Society. p. 95.

(٣٣) The Sexual Life of Savages. p. 238 & p. 282.

(٣٤) Argonauts. p. 15.

(٣٥) The Sexual Life Of Savages p. 85.

سكان جزر التروبرياند فى كتاب واحد • بل انه نشر سلسلة من الكتب عالج فى كل واحد منها موضوعا رئيسيا (مثل النظام الاقتصادى، الحياة الجنسية ، الجريمة ••• الخ) فى ضوء علاقاته بالحياة القبلية ككل the tribal life as a whole

ومن هذه الكتب نذكر :

١ — Argonauts of The WesternPacific : وهذا هو أول كتاب نشره مالينوسكى عن سكان جزر التروبرياند • وقد ظهر لاول مرة سنة ١٩٢٢ ، أى فى نفس السنة التى ظهر فيها كتاب رادكليف براون عن سكان جزر الاندمان • والموضوع الرئيسى فى هذا الكتاب هو دراسة الاقتصاد فى أحد المجتمعات البدائية • ويتكون هذا الكتاب من مقدمة Introduction واثنين وعشرين فصلا • وقد أوضح مالينوسكى فى المقدمة (وهى بعنوان : (The Subject, Method And scope of this Inquiry منهجه الذى اتبعه فى جمع البيانات من الميدان[٣٦] •

ويذكر لنا مالينوسكى أنه قد اعتمد — عند كتابة هذا الكتاب — على المادة التى قام بجمعها أثناء دراسته الحقلية عن الثقافة القبلية ككل • ذلك أنه يرى أن الجوانب المختلفة للمجتمع متشابكة بدرجة كبيرة بحيث أننا لا نستطيع أن نفهم جانبا واحدا منها دون أن نأخذ فى الاعتبار الجوانب الاخرى • وسوف يجد القارىء فى الكتاب بكل وضوح اشارات مستمرة للبناء الاجتماعى والسحر والميثولوجيا •• الخ ، رغما من أن الموضوع الرئيسى للكتاب انما هو موضوع اقتصادى economic .

٢ — The Sexual Life Of Savages in North—Western Melanesia.

لقد نشر هذا الكتاب لاول مرة سنة ١٩٢٩ وهو يحتوى على أربعة عشر فصلا تبحث فى الحياة الجنسية • ومن هذه الموضوعات نذكر : العلاقة

---

(٣٦) Argonauts. p.p. 2—3.

بين الجنسين ، منزلة المرأة ، الزواج ، الطلاق ، معتقدات الاهالى عن انجاب الاطفال ، الحمل ، السحر الخاص بالحب ، الاحلام ، الاساطير .. الخ .

والواقع أن هذا البحث يعتبر دراسة علمية رائدة فى ميدان سوسيولوجيا الجنس Seciology of Sex . **ولقد تبع مالينوسكى فى هذه الناحية كثير من علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية** . ومن هؤلاء العلماء نذكر ريموند فيرث ، شابيرا ، مرجريت ميد[٣٧] .

ونحن اذا قارنا مالينوسكى برادكليف براون فى هذه الناحية ، فسوف نجد أن رادكليف براون يعترف لنا صراحة بأنه كان سيىء الحظ لانه لم يتمكن من دراسة الحياة الجنسية عند الاهالى فى جزر الاندمان . وهو يعلل ذلك بأسباب مختلفة . فالاهالى هناك ، مثلا ، كانوا يبدون حياء شديدا عند حديثهم مع الرجل الابيض فى هذه الناحية . كما أن رادكليف براون لم يستطع — أثناء اقامته بالجزر أن يتبين مدى الاهمية البالغة لمعرفة أفكار الشعوب البدائية عن المسائل الجنسية .

٣ — Crime and Custom in Savage Society :

نشر هذا الكتاب لاول مرة سنة ١٩٢٦ . ويتكون هذا الكتاب من قسمين رئيسيين . أما القسم الاول فقد خصصه المؤلف لدراسة القانون

---

(٣٧) R. Firth. We, The Tikopi (1936); 1. (Schapera, Married Life in An African Tribe (1939) ; M. Mead. Sex And Temperament In Three Primitive Societies (1950).

البدائى Primitive law والنظام order . أما القسم الثانى ، فقد خصصه لدراسة الجريمة والعقاب punishment فى ذلك المجتمع .

٤ — Coral Gardens and Their Magic :

يتكون هذا الكتاب من جزئين . وقد ظهر لاول مرة سنة ١٩٣٥ . وقد اهتم مالينوسكى فى هذا الكتاب بدراسة زراعة الحدائق والسحر .

obeikandl.com

ثالثا — عرض لبعض نتائج الدراسة

(٢)

الانتحار

هناك وسائل مختلفة يلجأ اليها المنتحرون فى جزر التروبرياند . ومن هذه الوسائل نذكر : القفز من فوق قمم النخيل ، تعاطى السم الذى يستخرجة الاهالى من مرارة أنواع معينة من السمك ، تناول نباتات سامة . والسم الذى يستخرج من مرارة السمك لا شفاء منه ، فى حين أن النباتات السامة ليست مميتة ، ويمكن علاجها بتعاطى مواد مقيئة . ويذكر لنا مالينوسكى أن النباتات السامة كثيرا ما تستخدم فى حالات الخصام بين العشاق وكذلك فى حالات المنازعات الزوجية .

ويهمنا أن نشير هنا بشىء من الايجاز الى بعض الامثلة لحالات الانتحار فى ذلك المجتمع :

الحالة رقم ١ :

ويحكى أن فتاة ، تدعى Bomawaku ، كانت مخطوبة لاحد الشبان هناك . لكنها كانت ، فى نفس الوقت ، تعشق شابا من نفس عشيرتها clan. وكانت تلك الفتاة تلتقى بعشيقها فى بيت للعزاب دون أن تكترث بخطيبها . وذات يوم اكتشف خطيبها حقيقة الامر ، فقام بسبها واهانتها أمام الناس . وعلى أثر ذلك ارتدت الفتاة أبهى ثيابها وحليها وصعدت الى قمة نخلة ، وهى تبكى بحزن وتصرخ بصوت مرتفع . ثم ألقت بنفسها من ذلك الارتفاع الشاهق ، وسرعان ما لقيت حتفها[٣٨] .

---

(٣٨) Crime and Custom in Savage Society, p. 95.

الحالة رقم ٢ :

كان Mwakenuwa رجلا يتمتع بمكانة عالية فى المجتمع ، كما أنه كان مشهورا بقدراته السحرية الخارقة • كما يحكى عنه أيضا أنه كان متزوجا بعدة زوجات • غير أنه كان يحب احدى زوجاته (وكانت تدعى Isowa) حبا شديدا • وذات يوم نشب خلاف حاد بينه وبين تلك الزوجة ، فقام بسببها بعبارات قاسية لا يجوز أن توجه من زوج الى زوجته • ولم تحتمل الزوجة ذلك ، فصعدت على الفور الى قمة نخلة وانتحرت انتقاما لكرامتها • وفى اليوم التالى — وبينما كان الاهالى يبكون حول جثة الزوجة المنتحرة — انتحر الزوج كذلك حزنا على موت زوجته • وقد وضع الاهالى جثته بجوار جثتها وأخذوا يبكونهما معا[٣٩] •

الحالة رقم ٣ :

اتهم رجل زوجته بالزنى • فصعدت على الفور الى قمة نخلة وانتحرت ونتيجة لذلك فقد انتحر الزوج[٤٠] •

الحالة رقم ٤ :

اتهمت زوجة زوجها بالزنى ، فانتحر الزوج بواسطة السم[٤١] •

الحالة رقم ٥ :

غادرت زوجة أحد الزعماء بيتها وهى غاضبة وتوجهت الى قريتها • وعندما

---

(٣٩) Ibid, p.p. 95—96.
(٤٠) Ibid, p. 96.
(٤١) Ibid.

وصلت الى هناك طلب منها أقاربها مغادرة القرية والعودة ثانية الى زوجها• كما أنهم أيضا هددوها باستخدام القوة لارغامها على ذلك •ولم تحتمل الزوجة ذلك الموقف من جانب أقاربها فتسلقت نخلة وانتحرت(٤٢) •

الحالة رقم ٦ :

سافر أحد الزعماء فى رحلة طويلة بعيدا عن القرية التى تعيش فيها زوجاته • وقد انتهزت احدى الزوجات (وكانت تدعى Bogonela) فرصة غياب زوجها وأخذت تستقبل عشيقها فى كوخها • غير أن الزوجة الاكبر سنا للزعيم الغائب اكتشفت تلك العلاقة وأخذت تراقب الزوجة العاشقة • وذات ليلة سمعت (أى الزوجة الاكبر سنا) صوتا فى داخل كوخ الزوجة العاشقة ، فتوجهت الى هناك وضبطت العاشقين معا • وسرعان ما انتشرت الفضيحة فى كل أرجاء القرية ، كما حضرت الكثيرات من النسوة من أقارب الزوج الغائب وقمن بسبها واهانتها علانية • وعلى أثر ذلك ، تصرفت الزوجة المذنبة طبقا للعادات السائدة فى ذلك المجتمع • لقد ارتدت أحسن ملابسها ، كما تزينت بكل ما تملك من حلى ثمينة ثم تسلقت الى قمة نخلة عالية توجد فى مكان بوسط القرية • وسرعان ما تجمع الكثير من الناس فى ذلك المكان • كما وقفت ابنتها الصغيرة تحت النخلة وهى تبكى وتصرخ • وبعد أن أوصت الزوجة المذنبة الزوجة الاكبر سنا برعاية ابنتها الصغيرة بعد وفاتها ألقت بنفسها من فوق قمة النخلة فماتت على الفور(٤٣) •

وهناك دوافع مختلفة للانتحار فى جزر التروبرياند نذكر منها : نكاح المحارم incest ، المنازعات العائلية ، الزنى adultery ، التكفير عن خطيئة ، سوء المعاملة •

---

(٤٢) Ibid, p. 97.

(٤٣) The Sexual Life of Savages, p. 101.

(٢)

دار العـــزاب

فى حديثه عن العلاقات الجنسية فى مرحلة ما قبل الزواج ، نجـد أن مالينوسكى قد تنـاول بالدراسـة بشىء من التفصـيل « دار العـزاب Bukumatula » وما تقـوم به من دور فى الحياة الاجتماعيـة عنـد التروبرياندبين . فهو يذكر لنا أن كل قرية بها عـدد من الدور الخاصـة بالعزاب . ويختلف هذا العدد من قرية الى أخرى . ففى قرية « أوماراكانى » كان بها خمسة دور للعزاب وقت اجراء البحث ، أما قرية « كاسانى » فكان بها أربعة دور فقط . ويذكر لنا مالينوسكى أن عدد هذا النوع من المساكن قد تضاءل فى الوقت الحـالى نتيجـة لتأثير البعثـات التبشـيرية على الاهالى(٤٤) .

ولكن لماذا تقام بيوت العزاب ؟ فى مرحلة ما قبـل الزواج توجـد علاقات غرامية بين الفتيان والفتيات . ورغبة فى تمكين الفتى من مقـابلة فتاته لاشباع رغباتهما الجنسية فى خلوة ، فقد أقيم فى كل قرية عـدد من منازل العزاب لتحقيق ذلك الغرض .

ويخصص كل منزل لعدد من العشاق يختلف عددهم من مسـكن الى آخر ، فقد يكون هناك زوجان أو ثلاثة أو أربعة أزواج من العشاق .

---

(٤٤) يذكر لنا مالينوسكى أن دور العزاب فى قرية « أوماراكانى » تقع فى الحلقة الداخلية المحيطة بالساحة والتى تضم أيضا مخازن اليام والمسـاكن الخاصة برئيس القرية واقاربه . كما انه يشير كذلك الى أن البعض من الافراد قد اتجهوا أخيرا الى اقامة بيوت العزاب فى الحلقة الخارجية التى تضم مساكن الاهالى .

والتنظيم الداخلى للدار بسيط للغاية • فالاثاث يتكون من عـدد من الاسرة مغطاة بنوع من الحصير • ويختص كل فتى وفتاة بسرير معين للنوم عليه بصفة منتظمة •

واذا حدث وفض العاشقان علاقتهما الغرامية ، فان الفتاة هى التى تهجر دار العزاب وتبحث لها عن عشيق جديد تقضى معـه وقتها وفى دار لخاصة به •

وأما بالنسبة لملكية الدار ، فهى فى العادة تكون للجماعـة التى تقيم فيهـا •

وقد يبدو لاول وهلة أن العلاقات السائدة داخل الدار هى نوع من الزواج الجمـاعى Group Marriage • ولكن الدراسـة ، كما يرى مالينوسكى ، تبين عدم صحة ذلك • فكل فتى يختص بفتاة معينة • وهم لا يتبادلون الفتيات فيما بينهم ، كما أنهم كذلك لا يحبذون قيـام الفتى بملاطفة عشيقة زميله بالدار أو محاولة « الصيد فى أرض الغير » •ويذكر مالينوسكى أن هناك نوع من الاتفـاق بين المقيمين بالدار على احـترام الحقوق الجنسية الخاصة بالغير ، كما أنه لا يجوز كلية مراقبة الغير وهم فى لحظة غرام مع فتياتهم •

ومما تجدر الاشارة اليه أيضا فى هذا المجـال أن الصلة بين الفتى والفتاة داخل الدار انما هى صلة غرامية بحتة • فالحب هو الذى جمـع بينهما ، وهما يتقابلان بالدار لقضـاء بعض الوقت واشـباع الغـريزة الجنسية • وكثيرا ما تتطور هذه العلاقات الى مزيد من الارتبـاط بـين العاشقين ، فيقررا فى النهاية الاتفاق على الزواج •

واذا ما اتفق الفتى مع فتاته على الزواج ، فانه يجب عليه ألا يتناول معها أى طعام على الاطلاق • ذلك أن مثل هذا العمل — فى نظر الاهالى — يعتبر تحقيرا للفتاة ، كما انه يعتبر أيضا خروجا على الآداب(٤٥) !!

ومن طريف ما رواه لنا مالينوسكى عن العشاق فى ذلك المجتمع أن الفتى والفتاة — اذا خرجا معا فى نزهة خلوية — يسليان أنفسهما بجمع الاصداف وقطف الزهور وتدخين التبغ • كذلك يقوم الفتى « بتفلية » شعر عشيقته وأكل ما قد يستخرجه من القمل !! كما تقوم الفتاة أيضا بتفلية شعر حبيبها وأكل ما قد تعثر عليه من قمل • ولا يرى الاهالى أية غضاضة فى ممارسة هذه العادة !! وعلى العكس من ذلك ، فهم يرون أنها تدخل السرور فى نفوس العاشقين !! (٤٦) •

---

(٤٥) The Sexual Life of Savages p.p. 59 — 64.

(٤٦) Ibid, p. 275.

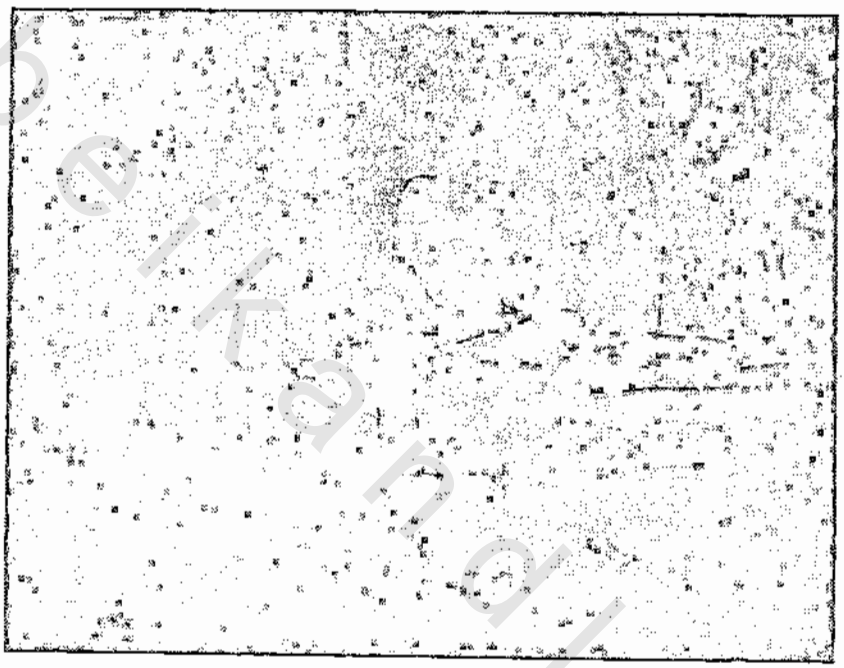

فتـــاة تجلس أمام دار العـــزاب

obeikandl.com

obeikandl.com

(٣)

الزواج والطـــلاق

بالرغم من الحرية التى يتمتع بها الشباب فى ممارســـة العـــلاقات الجنسية ، كما سبق وأوضحنا من قبل عند حديثنا عن دار العزاب ، الا أنهم بصفة عامة يميلون الى الزواج وتكوين أسر خاصة بهم •

هذا وتدلنا الدراسة على أن هناك عوامـــل اجتماعيـــة واقتصـــادية وعاطفية تلعب دورها فى هذه الناحية • فالفرد فى جزر التروبرياند لا يحظى بالمكانة الكاملة full Status فى الحياة الاجتماعية الا اذا كان متزوجا • والواقع أنه لا يوجد هناك من البالغين من يعيش بلا زواج الا اذا كان المرء أبلها idiot أو أبرصا أو عليلا لا يرجى شـــفاؤه أو كان من الارامـــل الطاعنين فى السن • واذا ما هجرت الزوجة بيتها ، وفقد الزوج الامل فى استردادها فانه سرعان ما يبحث له عن زوجة جديدة • واذا توفيت الزوجة فان الزوج ، بعد انتهاء فترة الحداد ، سرعان ما يتزوج مـــرة أخـــرى • ولا يختلف الامر بالنسبة للمرأة فى هذه الناحية ، فهى فى حالة الطلاق أو وفاة الزوج تبحث عن شريك جديد لحياتها •

كما يعتبر الجانب الاقتصادى من أهم العوامل التى تدفع الشبان الى الزواج ، حيث أن القانون القبلى يلزم أسرة الفتاة أن تقدم منحة اقتصادية للزوج كل عام •

وعلاوة على ما تقدم ، فهناك أيضا الميل الطبيعى من ناحية الرجـــل ليكون له بيت مستقل وأسرة خاصة به وأطفال يعيشون فى كنفه •

وهناك أيضا الاخلاص والحب للمرأة التى أحبها الرجل وقضى معها وقتا من حياته • فذلك يدفعه الى العمل على الارتباط بها والعيش معها تحت سقف واحد •

ولا بد للفتى الذى يريد الزواج أن يحصل على موافقة أسرة الفتاة قبل الزواج • وفى بعض الاحيان ترفض الاسرة طلب الفتى اما لانه ينتمى الى طبقة اجتماعية أدنى من طبقتهم واما بسبب كسله الشديد أو لان الاسرة ترغب فى تزويج ابنتها الى شخص آخر • وفى بعض الاحوال نجد أن الفتى والفتاة يعترضان على قرار الاسرة ، فتنتقل الفتاة للاقامة فى مسكن والدى الفتى ، أو يعمد الاثنان الى الفرار الى قرية أخرى • ويقوم البعض من أقارب الفتى بالتوسط لدى أسرة الفتاة لعلها توافق على اتمام الزواج • وفى حالة رفض الوساطة ، فان أسرة الفتاة تتوجه الى المنزل الذى تقيم فيه الفتاة وتنتزعها منه انتزاعا • وكثيرا ما تحدث اشتباكات عنيفة بين أسرة الفتاة من جراء ذلك •

وفى الاحوال العادية ، وبعد أن يحصل الفتى على موافقة أسرة الفتاة، تتبادل الاسرتان الهدايا • وبعد ذلك بعدة أيام تتوجه الفتاة من تلقاء نفسها مع فتاها الي مسكن أسرته بدلا من أن تتوجه الى مسكن أسرتها (*) ، فتقيم معه هناك وتتناول معه الطعام ، وترافقه حيثما سار أثناء النهار ، وعندئذ ينتشر الخبر « لقد تزوج الفتى فتاته » •

وعلاوة على الطريقة السابقة للزواج ، فهناك أيضا الزواج عن طريق الخطوبة فى مرحلة الطفولة المبكرة infant betrothal • واذا كانت الطريقة التى تحدثنا عنها من قبل تقوم على حرية الاختيار والتجربة والعلاقات القوية التى نمت على مر الايام بين الفتى والفتاة ، فان الزواج

(*) يهمنا ان نشير الى أن الزواج فى جزر التروبرياند يتم دون أية احتفالات ، بعكس ما هو متبع عندنا فى مجتمعنا المصرى . وبالنسبة لاقامة الفتى والفتاة ، فانهما يقيمان بعضا من الوقت مع والدى الفتى ، ثم ينتقلان بعد ذلك الى كوخ مستقل .

أمرأة تغلى رأس زوجهـــا

obeikandi.com

obeikandl.com

القائم على الخطبة فى مرحلة الطفولة يختلف كل الاختلاف • فهو يعتمد على الاتفاق الذى يتم عادة بين الاسرتين •

وبعد أن يتم الزواج ، فانه يجب على أسرة الفتاة أن تقدم للزوج منحة اقتصادية بصفة منتظمة كل عام • ويستمر تقديمها طالما أن الزوجة تعيش مع زوجها • ويتوقف حجم هذه المنحة على مكانة the status الشريكين من الناحية الاجتماعية • الا أنها بصفة عامة ينبغى ألا تقل عن نصف ما تستهلكه أسرة متوسطة فى خلال عام •

واذا كان الزوج يتلقى منحة اقتصادية من أسرة زوجته كل عام ، فانه ينبغى عليه هو أيضا أن يقدم المنح الاقتصادية لاسر أخواته المتزوجات بصفة منتظمة فى كل عام • ومن أجل ذلك ، فان البعض من الفتيان يضعون فى الاعتبار عدد الاخوة الذكور للزوجة اذا ما فكر فى الاقبال على الزواج• فكلما كثر عددهم كلما زادت المنح الاقتصادية التى يتم تقديمها له •

وعلاوة على المنح الاقتصادية ، فان أسرة الزوجة تقدم للزوج العديد من الخدمات فى مختلف المناسبات • فهى تساعده عندما يريد أن يصنع لنفسه قاربا أو عندما يريد أن يبنى لنفسه مسكنا جديدا • كما أنهم يساهمون بجهودهم معه فى الاعداد عند سفره لصيد الاسماك • وفى حالة مرض الزوج فان أسرة الزوجة تقوم بالسهر على حياته ليلا ونهارا لحمايته من شرور السحرة Sorcerers • وبالاضافة الى ما تقدم فهم يقفون بجواره فى حالات الخطر يشدون أزره ضد أعدائه •

وهنا نتساءل : ما هى الاسباب القانونية والاجتماعية التى تدفع المرء الى أن يقدم هذه المنح الاقتصادية بانتظام فى كل عام ؟ يرى مالينوسكى أن ذلك مرده ولا شك الى العادات القبلية tribal Customs السائدة وكذلك الى الاعتزاز أو التباهى • اذ لا يوجد عند التروبرياندبين أية عقوبات

محددة definite punishments توقع على الفرد فى حالة عدم قيامه بتأدية ذلك • وكل ما فى الامر أن المجتمع يحتقر ذلك الشخص ويزدريه •

ويذكر لنا مالينوسكى أن الزواج الموتوجامى monogamy هو النمط السائد فى ذلك المجتمع • ولكن يوجد الى جانب ذلك نظام تعدد الزوجات polygamy الذى ينتشر بين الرؤساء وكذلك الاشخاص ذوى الاهمية فى المجتمع كالسحرة المشهورين مثلا •

وبالنسبة للطلاق ، فانه لا يعتبر أمرا نادرا فى مجتمع التروبرياندبين • وهو يرجع الى أسباب مختلفة نذكر منها : سوء المعاملة ، الخيانة الزوجية ، وقوع الزوج أو الزوجة فى غرام شخص آخر ، كسل الزوج ، الغيرة ، الكره ، فقد الرجل عمله ، والمشاجرات بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة •

والاجراءات الخاصة بالطلاق غاية فى البساطة فالزوجة تغادر منزل زوجها ومعها ممتلكاتها الشخصية وتتجه الى منزل أمها أو الى منزل احدى قريباتها وتقيم هناك • وفى خلال اقامتها هناك تتمتع الزوجة بالحرية الكاملة فى اشباع رغباتها الجنسية • ويحاول الزوج من جانبه استمالة زوجته واقناعها للعودة اليه مرة ثانية ، وهى قد توافق أو قد ترفض العودة نهائيا • هذا ويشير مالينوسكى الى أن الزوجة بعد انفصالها عن زوجها وبصفة خاصة اذا كانت لاتزال شابة تعود مرة أخرى الى سابق حياتها التى كانت تحياها قبل الزواج ، فتغشى دور العزاب لاشباع رغباتها الجنسية مع أحد الشبان هناك • وكثيرا ماتنتهى العلاقة داخل الدار الى زواج جديد •

هذا ويهمنا أن نشير الى أن الاطفال فى حالة الطلاق يهجرون المنزل مع أمهم ويقيمون فى مسكن قريب لهم من ناحية الام (٤٧)

---

(٤٧) Ibid, p.p. 65--125.

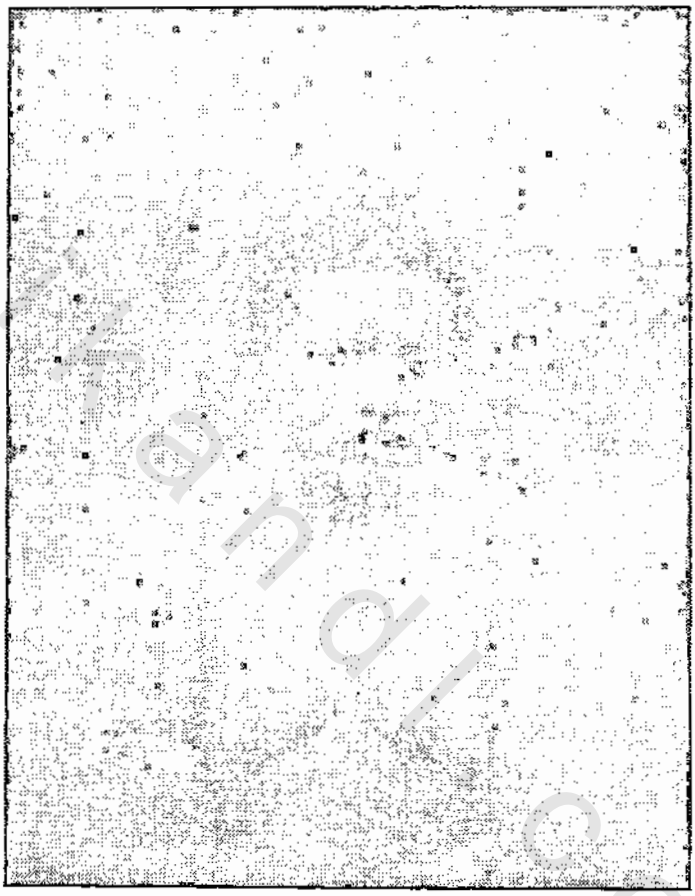

فتـــاة قبيحـــة

obeikandl.com

obeikandl.com

(٤)

الموت وشعائر الجنازات (٤٨)

عند وفاة الزوج ، فان الزوجة تحزن عليه كثيرا ، ولاتغادر منزلها الا بعد مرور فترة طويلة من الحداد • هذا ويشير مالينوسكى الى أن التفرقة تبدو واضحة بين أقارب المتوفى من ناحية الام وبين زوجته وأطفاله وأصهاره وأصدقائه من ناحية أخرى من حيث كيفية التعبير عن حزنهم على المتوفى • فالاقارب من ناحية الام يمتنعون كلية عن لمس جثة المتوفى أو حتى الاقتراب منها لان ذلك فى نظرهم محرم عليهم • كما أنه لا يسمح لهم أن يقوموا بغسل الجثة أو تزويقها أو تهشيكها أو دفنها • وهم يعتقدون أن مجرد الاقتراب من الجثة أو لمسها يؤدى لامحالة الى اصابتهم بالعلل الخطيرة وموتهم • كما ينبغى عليهم كذلك الا يظهروا حزنهم عليه بارتداء زى معين أو بتزيين أجسامهم ، وانما يكتفون بالبكاء تعبيرا عن حزنهم وألمهم • أما الزوجة والاطفال وأقارب الزوجة وأصدقاء المتوفى ، فانهم يعبرون عن حزنهم بالولولة بصوت مرتفع ، وبصبغ أجسامهم بالهباب Soot كما أنهم يحلقون شعر الرأس كذلك •

وبعد حدوث الوفاة يقوم الاهالى باتخاذ الخطوات التالية لدفن الجثة:

تغسل الجثة وتنقش بعض الخطوط على الوجه ، ثم تزين بالعديد من الحلى كالاساور والعقود • وبعد ذلك تسد فتحات الجسم بألياف من القشرة الخارجية لجوز الهند • كما تربط الساقان معا وكذلك يربط الذراعان الى الجانبين •

وبعد ذلك توضع الجثة على ركب عدد من النساء اللائى يجلسن على

---

(٤٨) Ibid, p.p. 126—139.

أرضية الكوخ ، أما الزوج فانه يجلس معهن ليمسك برأسها • وتقوم النساء بتهشيك الجثة ويجلسن عليها بأيديهن ويطبطبن ويحركن الرأس والاطراف • وتستمر النساء فى تحريك الجثة والعمل على جعلها تتلوى مع ايقاع نواحهن وعويلهن الذى لاينقطع •

ويمتلىء الكوخ بالنائحين الذين يترنمون الترانيم الحزينة • وتنهمر الدموع مدرارا من أعينهن ، كما يتدفق المخاط من أنوفهن • أما خارج الكوخ ، فان البعض من النساء يقمن بالرقص وهن يمسكن فى أيديهن بعضا من مخلفات المتوفى •

وفى خلال ذلك يقوم أبناء المتوفى بحفر قبر له خارج القرية • وبعد مرور عدة ساعات على الوفاة توضع الجثة فى القبر بعد لفها بالحصير • ثم يغطى القبر بعد ذلك بكتل من الخشب • وتجلس الزوجة فوق هذه الكتل من الخشب لتسهر على الجثة • ويجلس معها كذلك ابنتها واخوتها وقريباتها وصديقاتها وأقربائها كما يتجمع هنا أيضا عدد كبير من الاهالى •

وعند غروب الشمس فى اليوم التالى للدفن تستخرج الجثة من القبر ، ويقوم الاهالى بفحصها ليتبينوا وجود أية علامات خاصة بالسحر [٤٩] • والصورة تبين لنا جثة امرأة وقد أخرجت من قبرها وقت غروب الشمس بعد دفنها فى اليوم السابق •(صفحة ١٦١) •

---

(٤٩) بعد دفن الجثة بفترة تتراوح بين ١٢ ، ٢٤ ساعة ، وبالضبط عند أول غروب شمس بعد الدفن ، يفتح القبر وتستخرج الجثة ثم يقوم الاهالى بغسلها وفحصها بغرض اكتشاف ما قد يوجد عليها من علامات تدل على السحر : فمثلا اذا وجدت خدوش على كتفى المتوفى ، فذلك يعنى أن المتوفى قد ارتكب جريمة الزنا مع احدى النساء الامر الذى اثار غضب احد الرؤساء او السحرة صده ، فاستخدم السحر لقتله . كذلك اذا وجد عدد كبير من القمل على الجثة ، فان معناه أيضا ان المتوفى قد ارتكب جريمة الزنا مع احدى النساء. ومما هو جدير بالذكر ان الحكومة قد اصدرت اوامرها بمنع ممارسة هذه العادة، الا أن الاهالى لا زالوا يمارسونها سرا وبصفة خاصة فى القرى البعيدة .

جثة فتاة جميلة ماتت فجأة • وقد وقف زوجها ليسندها حتى يتمكن مالينوسكى من تصويرهـــا

obeikandl.com

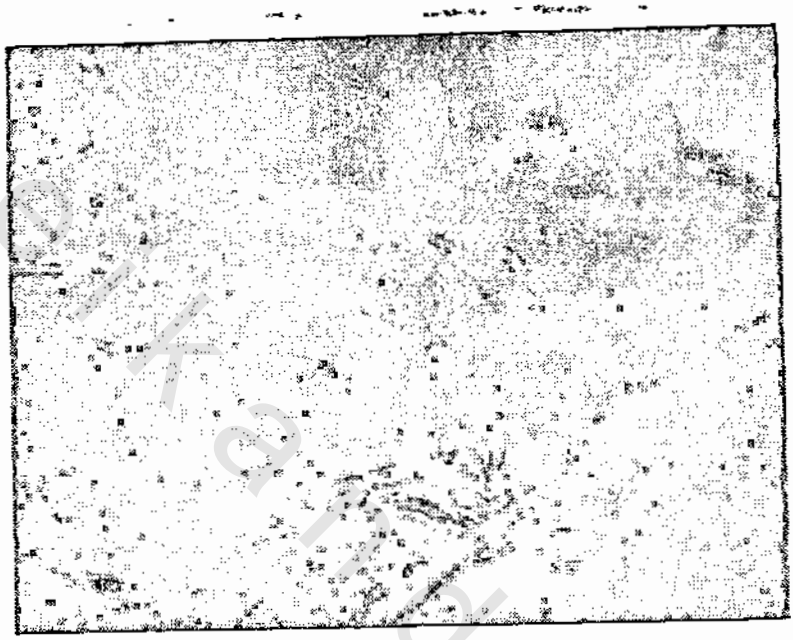

جثة امرأة بعد أخراجها من القبر
بغرض فحصها لاكتشاف أية علامات خاصـــة بالسحر

obeikandl.com

أرملة في فترة الحداد . ويلاحظ أن شعرها قد نما بعض الشيء . كما يلاحظ أيضا أن العظم الفكى لزوجها المتوفى يتدلى على صدرها .

obeikandl.com

العظم الفكى للزوج بعـد تزيينه

obeikandl.com

obeikandl.com

وفى اليوم التالى ، وقبيل طلوع النهار ، يستخرج أبناء المتوفى الجثة من القبر مرة ثانية ، ويقومون بأستخراج بعض العظام منها ، ثم تدفن الجثة ثانية بعد ذلك • وهم يحتفظون لانفسهم ببعض العظام ويقومون بتوزيع البعض الآخر على أقاربهم • ويرى الاهالى أن عملية استئصال عظام الموتى والاحتفاظ بها كمخلفات انما هى نوع من التقوى والورع والاحترام الزائد لشخص المتوفى • وهم يقومون بذلك عن طيب خاطر بالرغم من أن الجثة تكون قد بدأت فى التعفن •

وتوزع العظام على الزوجة والاقارب ، وهم يستخدمونها فى أغراض مختلفة • فالزوجة تأخذ الجمجمة the skull لتستخدمها كوعاء ، أما العظم الفكى The jaw bone فانها تضعه حول رقبتها كحلية ornament . وبالنسبة للاقارب من ناحية الزوجة وأصدقاء المتوفى ، فانهم يأخذون أظافره وأسنانه وشعره ويحملونها كنوع من الزينة • أما أقارب المتوفى من ناحية الام ، فان استخدام عظام المتوفى محرم عليهم تحريما باتا strictly tabooed • واذا لم يقم هؤلاء الاقارب من جانبهم بمراعاة ذلك ، فانهم يعتقدون أن بطونهم سوف تنتفخ ، وربما أدى ذلك الى موتهم •

(٥)

العلاقة بين عالم الارواح وانجاب الاطفال

يعتقد التروبرياندیون أن هناك علاقة وثيقة بين عالم الارواح spirit world وعملية انجاب الاطفال • ومن أجل ذلك فقد قام مالينوسكى بدراسة رحلة الروح بعد خروجها من الجسد وعلاقة ذلك بالاحياء من سكان الجزر • فالاهالى يعتقدون أن الروح تتجه بعد الموت الى جزيرة الموتى The Island Of the Dead والتى يطلقون عليها اسم « توما Tuma » • وفى تلك الجزيرة تحيا الروح حياة سعيدة وشبيهة بحياتنا الدنيا ، وان كانت تتسم بأنها أكثر سعادة •

لكن الروح قد تضيق بهذه السعادة الدائمة وترغب فى العودة الى الجزر مرة ثانية • وفى هذه الحالة فان عمر روح الشخص المتوفى يصغر بحيث تصبح الروح طفلة «Spirit—child» • وهذه الارواح الاطفال أو الصغيرة جدا فى السن spirit—children هى المصدر الوحيد للحياة بالنسبة للبشرية • فالروح تعود مرة ثانية الى جزر التروبرياند وتدخل فى رحم womb المرأة • لكنها لا تتجه الى أى امرأة ، بل الى رحم امرأة تكون من نفس العشيرة الخاصة بالزوج •

ولكن كيف تتسلل أرواح الاسلاف الى رحم المرأة ؟ يقول أحد المخبرين من أهل الجزر : « ان الفتاة العذراء لا تحمل لانه لا يوجد طريق مفتوح أمام الارواح لتدخل•ولكن حينما تتسع فتحة رحم المرأة،فان الروح يمكن أن تتسلل الى الداخل » • وهكذا يتبين لنا أن التروبرياندیين يعتقدون أن الحمل ينتج من دخول أرواح الاسلاف فى رحم المرأة ، وأن الزواج والمعاشرة الجنسية هما الوسيلة الوحيدة التى يمكن بها ازالة العوائق التى تعترض

سبيل تلك الارواح دون أن يكون لهما هما نفسهما دخل فى عملية الانجاب.

وبعبارة أخرى ، يعتقد الاهالى أنه لا توجد صلة بيولوجية بين الاب والابن(٥٠) .

ويذكر لنا مالينوسكى أن اتجاه الاهالى نحو أطفالهم يقدم لنا شاهدا

---

(٥٠) يعتقد الاهالى كذلك ان اناث الحيوانات تحمل من تلقاء نفسها دون حاجة الى التزاوج مع الذكور من الحيوانات .

ويذكر لنا مالينوسكى أن هناك نوعان من الخنازير بالجزر . ويعيش النوع الاول منها فى القرى مع الاهالى . أما النوع الثانى فهو من النوع البرى الذى يعيش فى الغابات ، وبالنسبة للخنازير التى تعيش فى القرية ، فان الاهالى يقومون بخصى الذكور منها حتى تحتفظ بقوتها . أما الاناث فان الاهالى يدعونها تتجول فى اطراف القرية وفى الغابات حيث تكون فيها الفرصة مهيأة لتتزاوج مع الذكور من الخنازير البرية . وبذلك تكون جميع الخنازير التى تلدها اناث خنازير القرية من نسل خنازير الغابة . وحينما ذكر مالينوسكى هذه الحقيقة للاهالى عارضوها بشدة وأكدوا له ان خنازير الغابة لا دخل لها فى حمل الاناث ، حيث ان اناث الحيوانات تحمل من تلقاء نفسها .

ومما رواه مالينوسكى فى هذا الشان ايضا أن احد التجار اليونانيين قد أحضر الى الجزر سلالة ممتازة من الخنازير . وقد تلهف الاهالى على الحصول عليها ، فكانوا يشترون الخنزير الواحد منها مقابل خمسة من الخنازير التى يربونها فى قراهم . الا أنهم بعد حصولهم على هذا النوع الممتاز من الخنازير ، لم يفكروا على الاطلاق فى احضار ذكور من الخنازير من نفس السلالة لتتزاوج معها . وعلاوة على ما تقدم ، فقد قام الكثير من الاهالى بخصى الذكور من هذه السلالة . وحينما لفت نظرهم احد التجار من البيض ، وأوضح لهم خطورة ذلك على مستوى السلالة ، فانهم لم يحاولوا فهم ما قاله لهم ، واستمروا فى خصى الذكور من هذه السلالة الممتازة .

ومما هو جدير بالملاحظة فى هذه الناحية أيضا أن الاهالى يعتقدون أن اناث الحيوانات تحمل من تلقاء نفسها وليس بسبب الارواح كما هو الحال بالنسبة للمراة .

جديدا على اثبات جهلهم بالعلاقة الفسيولوجية بين الاب وابنه • فالزوج الذى يسافر بعيدا عن زوجته لمدة عامين مثلا ، ثم يعود بعد ذلك ليجـدها قد أنجبت له طفلا أو طفلين يتهلل وجهه فرحا وبشرا لدى سماعه الخبر ، ولا يمكن أن يجول فى خاطره أبدا أن يتهمها بالزنا مع رجل آخر !![٥١] •

---

(٥١) Ibid, p. p. 140—172.

obeikandl.com